الشـواهد الأثرية لفترة فجر التاريخ بالجنوب القسـنطيني "منطقة الزاب، بسكرة-أولاد جلال"

النتائج الأولية لعمليات المسح والتنقيب الأثري بالمنطقة ما بين 2017 و2022.

Protohistoric archaeological evidence in southern Constantine, "Zab region, Biskra-Ouled Djelel" Preliminary results of archaeological surveys and excavations in the region between 2017 and 2022

بدرالدين سلاحجة ،

جامعة عبد الحميد مهري، قسـنطينة 2 ،

badreddine.selahdja@univ-constantine2.dz

تاريخ الاستلام: 2023/12/18 تاريخ القبول: 2024/11/24

ملخص:

تتميز منطقة الجنوب القسـنطيني بثرائها من حيث البقايا والمخلفات الأثرية التي تعبر عن التعمير البشري في مختلف العصور والحقب، وتعتبر المعالم الجنائزية لفترة فجر التاريخ من أهم المخلفات الأثرية الشاهدة على ذلك، حيث تنتشر بمختلف الأصناف والأنواع. حظيت منطقة الجنوب القسـنطيني باهتمام خاص من طرف الباحثين في مجال فجر التاريخ، حيث اتخذنا دراساتهم قاعدة لعمليات البحث والتحري التي نقودها في المنطقة، أين تم اكتشاف ما لا يقل عن عشرين مقبرة تحتوي على أنواع مختلفة من المعالم الجنائزية، قمنا بجردها وتحديد أصنافها وأنواعها، وتوثيقها ضمن خرائط رقمية، بالإضافة إلى التعرف على محتواها من خلال الحفريات الأثرية المنظمة، والتي أسـفرت على اكتشاف مخلفات أثرية تدل على طبيعة

الحياة الدينية والاجتماعية للإنسان بالإضافة إلى طبيعة المواد الأولية المستعملة في تصنيعها، ومظاهر أخرى تتعلق بطرق الدفن وطرق بناء المعالم الجنائزية.، ونعتزم في هذا المقال تقديم النتائج الأولية المتحصل عليها من عمليات البحث والتحليل.

الكلمات المفتاحية: فجرالتاريخ.، معلم جنائزي.، بازينة.، بسكرة.، حفرية أثرية.

Summary

The South Constantine region is distinguished by its richness in terms of archaeological vestiges which express human settlement at different times, and the most striking archaeological remains are the protohistoric funeral monuments. Through this article, we will highlight the preliminary results of the research and investigation operations that we are carrying out in the region, through which at least twenty necropolises have been discovered, of which we have inventoried the funerary monuments, determined their types and documented them on digital maps, in addition to identifying their content through the organized archaeological excavations that we carry out, and which have produced results related to human religious and social life, and other aspects such as burial methods, funerary architecture.

Keywords: Protohistory; Funerary monument; Bazina; Biskra; Excavation.

المؤلف المرسل:بدرالدين سلاحجة، الإيميل: badreddine.selahdja@univ-constantine2.dz

أولا. مقدمة:

شهدت منطقة الجنوب القسنطيني تعاقبا حضاريا مهما خلال عصور ما قبل التاريخ وفترة فجر التاريخ، وكانت محلا للتعمير البشري بحكم موقعها الاستراتيجي الهام الذي يعتبر منطقة اتصال بين الشمال والصحراء، وهذا ما نتج عنه انتشار العديد من المخلفات الأثرية، التي حملت دلالات واضحة عن تناسق وتداخل حضاري جمع بين المحافظة على الممارسات الاجتماعية السابقة وتطويرها مع مزجها بالمكتسبات المعيشية الجديدة، والمستخلصة من الاحتكاك بين المجموعات البشرية التي عمرت خلال هذه الفترات.

تعد منطقة الزيبان "بسكرة، أولاد جلال" من أهم أقاليم الجنوب القسنطيني، ويتجلى تميزها الحضاري في احتوائها على عدد كبير من مواقع فجر التاريخ المنتشرة على جميع المكونات الطبيعية والجغرافية التي تميز المنطقة، والتي تحتوي على تنوع هام في التضاريس، حيث تنتشر المرتفعات الجبلية لسلسلة جبال الزاب على طول الشريط الشمالي للمنطقة، مما يعد حاجزا طبيعيا يقلل من التأثيرات المناخية الآتية من الشمال، ويمنع الامتداد الصحراوي نحو الشمال، وهذا ما خلف تنوعا في التضاريس ومساحات طبيعية غنية بالمواد الأولية التي ساعدت على الاستيطان البشري.

لتتبع مراحل الاستيطان البشري في هذه المنطقة خلال فترة فجر التاريخ، يلزمنا تتبع ودراسة مخلفاتها ودلالاتها الأثرية بطريقة معمقة تعمل على الإحاطة بجميع الأنشطة التي مارسها الإنسان، وخاصة تلك التي تُبين التميز والاختلاف بين الجماعات البشرية من أساليب الحياة، سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو فكرية وغيرها.

لقد تم في الفترة الممتدة ما بين سنة 2017 إلى يومنا هذا إجراء بحث أثري معمق بالمنطقة، وارتكزت أعمال البحث على المسح والحفريات الأثرية، حيث تم تقسيم المنطقة المدروسة إلى قسمين رئيسيين، الجزء الغربي " الزاب الغربي" والجزء الشرقي "الزاب الشرقي"، وبدأت عمليات المسح الأثري بالجزء الغربي، أين تم اكتشاف ما لا يقل عن عشرين موقعا تحتوي أساسا على تنوع كبير في أصناف المعالم الجنائزي، مصحوبة بانتشار واسع للصناعات الحجرية، حيث تم جرد معظمها ودراسة محتواها الأثري، بالإضافة إلى إجراء حفريات أثرية على عدد مهم وأنواع مختلفة من هذه المعالم، وتستكمل حاليا دراسة الجزء الشرقي للمنطقة، والذي يحتوي على عدد كبير من المواقع التي تم إلى حد الآن جرد ثلاثة مواقع منها وإجراء حفريات أثرية على عدد من المعالم الجنائزية المنتشرة فيها.

أسفرت عمليات البحث الميداني عن نتائج جد مهمة فيما يخص التعمير البشري بمنطقة الزاب، وتتعلق هذه النتائج بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية والدينية للمجتمعات التي عمرت المنطقة خلال فترة فجر التاريخ، حيث ساعدتنا اللقى الأثرية المستخرجة من المعالم الجنائزية من بقايا إنسانية ومرفقات جنائزية متنوعة، في التعرف على طريقة توزع وانتشار الانسان بالمنطقة المدروسة، وأهم المواد والموارد التي استعملها في حياته اليومية، بالإضافة إلى عدة جوانب من تفكيره الديني والعقائدي وطرق تشكيله للعمارة الجنائزية، وسنحاول في هذا المقال عرض النتائج الأولية المتعلقة بكل ما طرح سابقا.

ثانيا. تعريف نطاق الدراسة

اشتملت هذه الدراسة على رقعة جغرافية واسعة تمتد من سلسلة جبال الزاب شمالا إلى المناطق المنبسطة جنوبا بين كل من أولاد جلال والدوسن، ومن الحدود الغربية لبسكرة المتاخمة لمنطقة الحضنة بناحية

القصيعات وعين فارس وشمال البسباس، وصولا إلى منطقة عين الناقة ومزيرعة شرقا، (شكل 1)، وتتمتع هذه المناطق بتنوع تضاريسي كبير يمتد من الشمال إلى الجنوب، فهي تقع على الحدود الجنوبية لمنطقة الأوراس وتعتبر جزءا من الحوض الرسوبي الذي يجمع ما بين الحافة الشمالية للصحراء والانكسارات الجنوبية للأطلس الصحراوي، ولعل أهم ما يميز هذه المنطقة هو سلسلة جبال الزاب، والتي تنحصر بين كتلة جبال ولاد نايل من الغرب وكتلة جبال الاوراس من الشرق، تتشكل هذه السلسلة من عدة كتل جبلية من أهمها جبل بوغزال، جبل الغوارة، جبل العروسين وجبل ميمونة وغيرها وتعتبر حاجز حماية طبيعي يؤثر بشكل كبير على حركية المنطقة من عدة جوانب، اقتصادية، مناخية، طبيعية، اجتماعية وغيرها.

ينقسم إقليم المنطقة المدروسة الى أربع مناطق تضاريسية كبرى تتمثل في المنطقة الجبلية التي تمتد على الجهة الشمالية ويحمل فيها جبل تاكتيوت أعلى نقطة حيث يصل ارتفاعه إلى 1942م.وتقع منطقة الهضاب في الجهة الغربية، وهي تمتد من الشمال الى الجنوب بحيث تشمل كل من محيط أولاد جلال وطولقة، أما منطقة السهول فهي تحتل الجزء الأوسط من المنطقة وتمتد على كل من مناطق سيدي عقبة، الوطاية والدوسن، كما تعتبر منطقة الشطوط ذات المستوى الرسوبي المنخفض منطقة ذات تصدعات، وهي تحتل القسم الجنوبي-الشرقي(Guemaz, 2006, pp. 20-21) .

تنقسم منطقة الزيبان إلى قسمين رئيسيين هما، الزاب الشرقي والزاب الغربي، يتميز كل قسم بخصائصومكونات هامة وتتأثر تضاريس كل جزء بالمناطق المحيطة به.

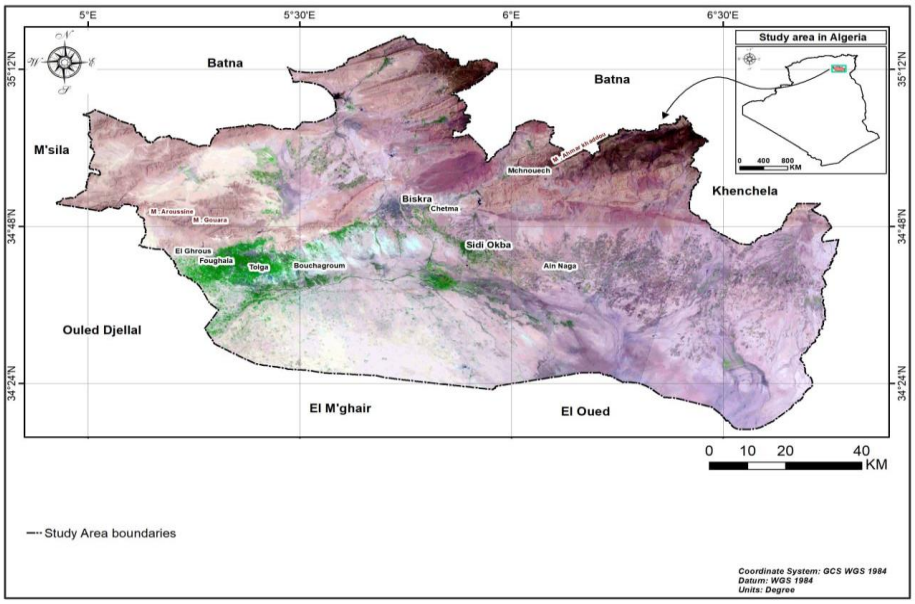
1. الزاب الشرقي:

تقع منطقة الزاب الشرقي شرق مدينة بسكرة وهو يضم منطقة سيدي عقبة وعين الناقة ومنطقة الحوش ومنطقة شتمة ومنطقة الفيض،

خنقة سيدي ناجي وزريبة الواد، بالإضافة إلى كل من منطقتي مزيرعة ومشونش، أما شمال عاصمة الزيبان فتوجد منطقة الوطاية، برانيس وجمورة والقنطرة وعين زعيطوط وبني فارح .(Rechachi Miled, 2017, pp. 11-12)

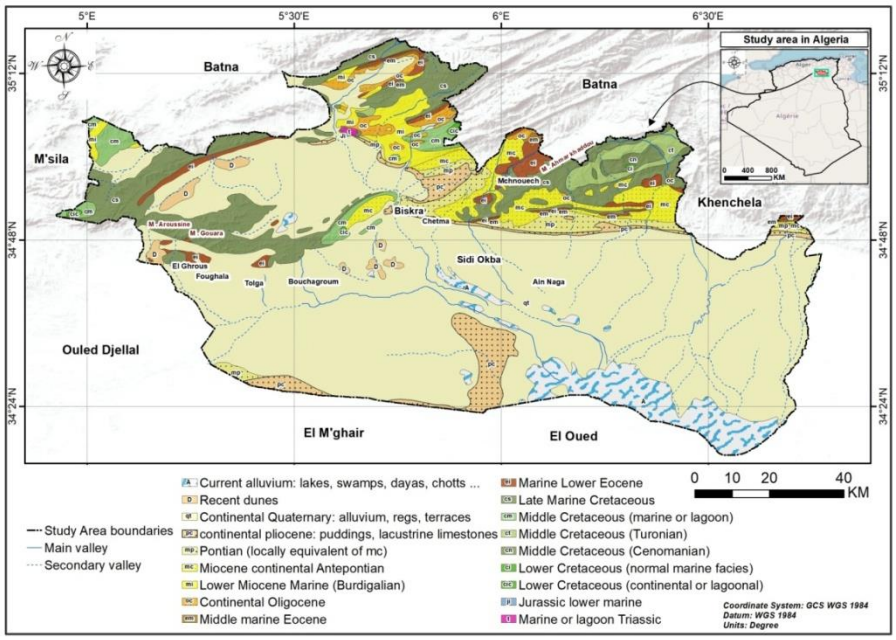
تظهر هذه المنطقة تطابقا لوسطين مختلفين، الأول ممثل في كتلة جبال الأوراس والثاني في السهول الصحراوية للزاب الشرقي، يفصل بين هذين الوسطين الانكسارات الجنوب أطلسية والتي تتميز بحركتها الحديثة والحالية وتتعرض هذه المنطقة إلى حت كبير تحت ضغط المواد المنحدرة من منطقة الأوراس وهذا ما تمثله أشكال الأقماع الأرضية والتي بتحديدها الدقيق يمكن تفسير آليات توزع هذه المواد.

شكل 1: الخريطة الطوبوغرافية لمنطقة بسكرة، مستحدثة بنظام .G.I. S



تتأثر تشكلات المنطقة بعاملين أساسيين، يتمثل عامل التأثيرالأول في الاتصال بين المنطقة الشمالية والجنوبية والذي يخلق اضطرابا في تعبئة الاودية والشعاب بالمياه المتدفقة في الجزء الجنوبي للأوراس والتي تعد السبب الرئيسي في جلب المواد والأتربة الى سهول منطقة الزاب الشرقي، بحيث تؤثر هذه التعبئة النشيطة التي يبلغ سمكها حوالي 400 م على تشكيل تضاريس المنطقة، وهي تتشكل أساسا من الطمي والطين وتتصلب مع مرور الوقت. وفيما يخص التأثير الثاني الذي يعتبر عاملا من عوامل تشكل تضاريس المنطقة، فهو عملية التصحرالقادم من الجهة الجنوبية ويساعده ضعف الغطاء النباتي والرياح الجنوبية التي تحمل المواد الترابية من منطقة شط ملغيغ خاصة خلال مواسم الجفاف (Bougherara, 2009, pp. 3-5).

شكل2: خريطة جيولوجية للمنطقة المدروسة، خريطة مستحدثة بنظام G.I.S.



2. منطقة لزاب الغربي:

ينقسم بدوره إلى قسمين، الزاب الضهراوي والزاب القبلي،يشملالزاب الظهراوي كل من بلدية برج بن عزوز وبلدية طولقة وبلدية فوغالة وبلدية ليشانة وبلدية الغروس وبلدية الدوسن وبلدية الحاجب ومقلوب إلى غاية مدينة أولاد جلال وسيدي خالد، بالإضافة إلى مناطق البسباس، راس الميعاد ومنطقة الشعيبة. أما الزاب القبلي، فهو يضم كل من بلدية أورلال وليوة ومخادمة وأوماش(Rechachi Miled, 2017, p. 13)

تتميز منطقة الزاب الغربي بكتل جبلية أقل أهمية من الزاب الشرقي، حيث أن العلاقة بين الجبال والسهول غير ملاحظة ولا مؤثرة، فهو يتمتع بسلسلة من الكتل الجبلية منعزلة تتدفق فيها السيول بشكل ضعيف نظرا لجبالها الغير مرتفعة وتأثرها بتغطية من سلسلة الأطلس الصحراوي والتي تعتبر عاملا أساسيا في شح التساقط على هذه المنطقة، هذا ما عمل على غياب السيول الجارفة للتربة وجعل التكوينات الكلسية للإيوسين الأسفل تسيطر على السطح مانعة توفر أراضي فلاحية رغم توفر المياه القريبة من القشرة الجيرية السطحية (Bougherara، 2009، صفحة 4).

ثالثا. التوزيع الجغرافي للمواقع المكتشفة

تم اتباع عدة مراحل منهجية لتحديد التوزيع الجغرافي للمواقع الأثرية المنتشرة بمنطقة الزاب، وكانت المرحلة الأولى تعتمد على جمع المعلومات البيبليوغرافية التي تشكل تاريخ الأبحاث حول الموضوع في المنطقة، أين نجد أن الباحثين السابقين أشارو إلى انتشار البقايا الأثرية لفترة فجر التاريخ بشكل مقتضب ضمن مقالات ونشريات خاصة دون تحديد المساحات الجغرافية التي تحتلها وإحصاء محتواها الأثري، مثل الباحثSt. Gsell الذي أشار إلى بعض المناطق التي تنتشر فيها المعالم الجنائزية والبقايا الفخارية حول واد جدي وبكل من منطقة جبل السنية، منطقة الشتمة والدوسن وأوماش وغيرها(Gsell, 1911, pp. 1-48) ،وكان

الباحثE.Rethault من أبرز الباحثين الذين اهتموا بمنطقة بسكرة،حيث قام بتنقيب جثوتين في منطقة الدوسن خلال سنة 1933 ,1933 ,Rethault) (62-55 .pp، ونشر الباحث P.Roffo أعمال مسح واستكشاف أثري ما بين سنتي 1937-1938 أشار فيها إلى انتشار الصناعات الحجرية لفترة ما قبل التاريخ، بالإضافة إلى تنقيب بعض المعالم في المنطقة وذلك في مقبرتي واد تامدة وواد الحمارة (Roffo, 1938, pp. 288-290)، وهذا ما يؤكده الباحث H. Marchand، حيث تحدث عن انتشار الصناعات الحجرية خاصة القفصية منها بمناطق كأولاد جلال والدوسن وسيدي خالد (Marchand, 1939, pp. 312-317)، كما أشار الباحث G. Camps إلى انتشار بعض المعالم شمال منطقة أولاد جلال والتي تعد من المعالم المدروسة في هذا العمل(Camps, 1961) .

تعد المعلومات المقدمة من طرف الباحثين المذكورين مهمة جدا، حيث ساعدتنا على الانتقال الى الجزء الثاني في منهجية البحث والذي يتمثل في العمل الميداني المرتكز على المسح الأثري، والذي مكننا من إجراء إحصاء شبه كامل للمواقع المنتشرة في الجزء الغربي للمنطقة المدروسة، بينما بقيت القليل من المواقع التي لم تدرس نظرا لعدم قدرتنا على الولوج إليها بسبب تضاريسها الوعرة، حيث تم جرد 17 موقع بالجزء الغربي للمنطقة، والذي يحتوي على أعداد كبيرة وأصناف متنوعة للمعالم الجنائزية والمصحوب بانتشار واسع للصناعات الحجرية، بالإضافة الى عدة مواقع تنتشر بها الصناعات الحجرية، خاصة بمنطقة أولاد جلال، كموقعي حاسي سيدا، واد العسل وراس العسل بسيدي خالد (جدول 1) (شكل 3).

أما الجزء الشرقي، فيبقى محل بحث إلى يومنا الحالي، حيث تم لحد الآن جرد موقعين مهمين بمنطقة عين الناقة (شكل 4)، دائرة سيدي عقبة، ويتعلق الأمر بموقع ذراع لقطار الواقع شمال غرب منطقة عين الناقة على

جهة الشمال الشرقي للطريق الوطني رقم 83 الرابط بين دائرة زريبة الوادي ودائرة سيدي عقبة في النقطة 34°43'50.60"N 6°6'42.10"E ، حيث يبعد عن مركز المدينة بحوالي 8 كلم. تم إحصاء ما يقارب 50 معلما بهذا الموقع، وهي معالم جنائزية من نفس النوع(النشاز)، وتنتشر هذه الأخيرة على الأغلب في المناطق المرتفعة نسبيا على مجاري المياه التي تخلفها الأمطار الموسمية، بينما تتوزع الصناعات الحجرية بشكل ملفت حول هذه المعالم.

يعتبر موقع فيض السلة الموقع الثاني الذي تمت دراسته بمنطقة عين الناقة، وهو ذو طبيعة مشابهة للموقع السابق، ويحتوي هذا الموقع على انتشار كبير للمعالم الجنائزية من نوع النشاز، كما تنتشر فيه مجموعات كبيرة من الصناعات الحجرية والتي تتجمع بشكل لافت على حدود المجاري المائية التي تخلفها الأمطار الموسمية، يتمركز موقع فيض السلة في النقطة 34°44'18.13"N 6°5'23.93"E على جهة الشمال الغربي للطريق الوطني رقم 83الرابط بين دائرة زريبة الوادي ودائرة سيدي عقبة، هذه الأخيرة يبعد عنها بحوالي 17 كلم، ويبعد عن مركز مدينة عين الناقة بحوالي 5 كلم (شكل 4).

منذ سنة 2020 إلى يومنا، قمنا بإجراء عمليات تنقيب على خمسة معالم جنائزية بموقع فيض السلة، وهذا على أربع بعثات حفرية متتابعة، ولقد أسفرت هذه التنقيبات على نتائج جد مهمة تتعلق بعصر المعادن، بالإضافة إلى دراسة مجموعة من الأدوات الحجرية، وتستكمل في وقتنا الحالي دراسة البقايا العظمية للهياكل البشرية المستخرجة من المعالم الجنائزية.

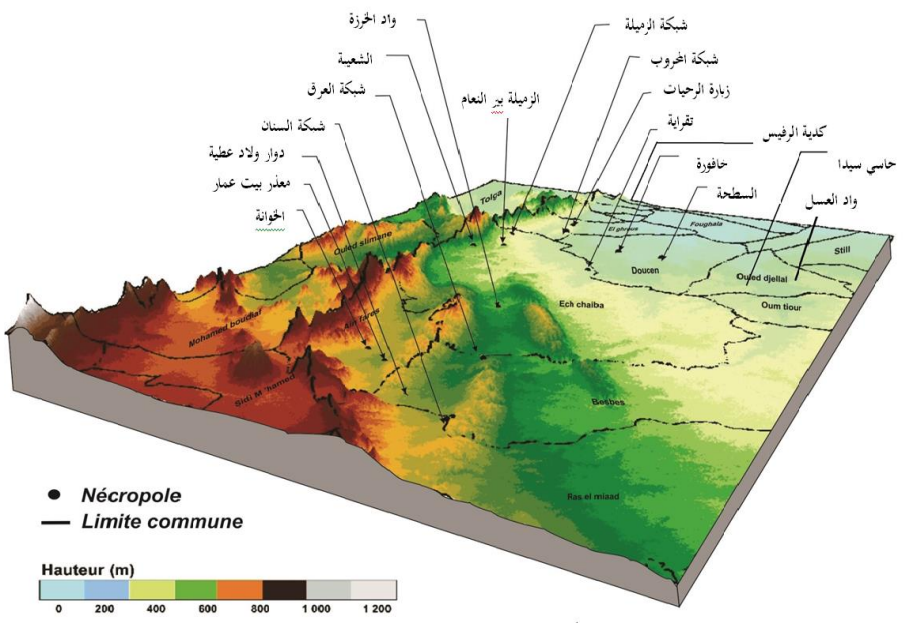
جدول 1: المواقع المكتشفة في الجزء الغربي لمنطقة الزاب

الرقم	الموقع	المنطقة	الاحداثيات	المحتوى الأثري

01	كدية الرفيس	بوشقرون	5°28′28"30"E/34°43′33"N	معالم جنائزية وصناعات حجرية
02	شبكة المحروب	لغروس	5°12′10.70″E/34°45′28.02″N	معالم جنائزية وصناعات حجرية
03	زبارة الرحيات	لغروس	5°9″56.80″E/34°45′58.97″N	معالم جنائزية وصناعات حجرية
04	شبكة الزميلة	بير النعام	5°5′57.19″ E/34°48′35.29″N	معالم جنائزية وصناعات حجرية
05	الزميلة	بير النعام	37°47′21.37″N/5°1′7.22″E	معالم جنائزية وصناعات حجرية
06	الشعيبة	الشعيبة	34°49′16.89″N/ 4°58′38.78″ E	معالم جنائزية وصناعات حجرية
07	واد الخرزة	الشعيبة	34°39′46.30″N/ 4°23′36.50″E	معالم جنائزية وصناعات حجرية
08	خافورة	الدوسن	4°39′2.73″N/ 5°7′28.70″E3	معالم جنائزية وصناعات حجرية
09	السطحة	الدوسن	34°35′40.66″N/ 5°7′5.72″ E	معالم جنائزية وصناعات حجرية

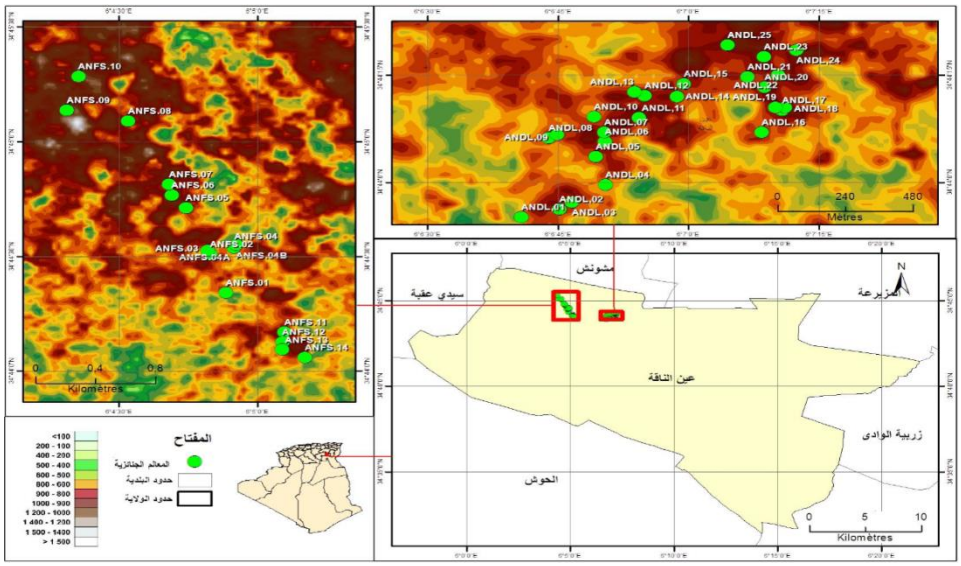
10	تقراية	الدوسن	34°37’8.07’’N/ 5°3’22.49’’E	معالم جنائزية
11	الخوانة	عين فارس	34°44’14.23’’N/ 4°28’21.88’’E	معالم جنائزية وصناعات حجرية
12	معذر عمار	عين فارس	34°41’10.87’’N/ 4°25’46.37’’E	معالم جنائزية وصناعات حجرية
13	ولاد عطية	عين فارس	34°39’49.38’’N/ 4°23’42.50’’E	معالم جنائزية وصناعات حجرية
14	شبكة العرق	عين فارس	34°39’49.38’’N/ 4°23’42.50’’E	معالم جنائزية وصناعات حجرية
15	شبكة السنان	عين فارس	34°33’14.32’’N/ 4°20’48.67’’E	معالم جنائزية وصناعات حجرية
16	حاسي سيدا	سيدي خالد	34°43’33"N/5°28’28"30"E	صناعات حجرية
17	واد العسل	سيدي خالد	34°43’33"N/5°28’28"30"E	صناعات حجرية

شكل 3: خريطة ثلاثية الأبعاد مستحدثة بنظام SIG توضح انتشار



المواقع المكتشفة في الجزء الغربي للمنطقة المدروسة "الزاب الغربي".

شكل 4: خريطة مستحدثة بنظام SIG، تبين انتشار المعالم الجنائزية بمنطقة عين الناقة.



رابعا. أهم نتائج البحث في المنطقة

تنوعت نتائج عمليات البحث الميداني بتنوع الفترات الحضارية ونوعية المواقع الأثرية وكذلك طرق ومناهج البحث، حيث كشفت عمليات المسح الأثري عن التوزيع الجغرافي للمواقع التي تحتوي على آثار الصناعات الحجرية لما قبل التاريخ وفجر التاريخ الذي عرضناه سابقا، كما أظهر اختلاف طبيعة المواقع الأثرية إختلافا نوعيا في المخلفات، أما الحفريات الأثرية، فقد أسفرت عن نتائج مهمة تخص المعتقدات الدينية والنوع الإنساني والمرفقات الجنائزية.

1. أنواع المعالم المنتشرة بالمنطقة:

تحتوي المنطقة المدروسة على عدد كبير من المقابر التي تعود إلى فترة فجر التاريخ، أين تم إحصاء ما لا يقل عن 23 مقبرة، وتمت دراسة وجرد 16 مقبرة منها. تتوزع غالبية المقابر المدروسة في الجزء الغربي للمنطقة، حيث

يمتد انتشارها على شريط يفوق طوله 120 كلم، وهي تحتوي في الغالب على صنفين من المعالم الجنائزية التي تتمثل في البازينات بأنواع متعددة والجثى المشكلة بالحجارة الصماء، ويقع أغلب هذه المقابر جنوب سلسلة جبال الزاب فوق الانكسارات الجبلية الجنوبية مثل جبل العروسين، جبل القسوم، جبل الحمارة، جبل قرون الكبش وجبل القعيد، كما تحتل هذه المقابر المرتفعات المحاذية للوديان مثل واد الفالق، واد تامدة، واد الخرزة، واد البياض وواد السادوري (سلاحجة، 2020، صفحة 42)، والتي تعتبر مغذية لواد جدي الذي يمر عبر منطقة الزاب ليصب في شط ملغيغ.

تتوزع في الجزء الجنوبي الغربي والجزء الشرقي للمنطقة المدروسة عدة مقابر لفترة فجر التاريخ، والتي تنتشر على الأراضي المنبسطة الممتدة جنوب سلسلة الزاب، وهي ذات طبيعة وتضاريس مختلفة عن المقابر المذكورة أعلاه، حيث تتميز بانتشار صنف واحد من المعالم الجنائزية والذي يتمثل في صنف النشاز بأنواعه المختلفة، على غرار مقبرة خافورة والسطحة بمنطقة الدوسن، ومقبرة فيض السلة وذراع القطار بمنطقة عين الناقة.

1.1البازينات:

تنتشر البازينات بمختلف أنماطها، منها الدائرية وذات القاعدة الاسطوانية كما توجد أيضا بعض الأشكال التي تحتوي على رواق أو مدرج خارجي،وتنتشر خاصة في المرتفعات وعلى حوافها (سلاحجة.، 2021، صفحة 45)، كما تتباعد بشكل غير متساوي وذلك راجع الى اختيار المسطح الذي تبنى عليه (شكل 5، 1-2) ، والذي يتشكل من طبقة كلسية صلبة يصعب الحفر فيها، لذلك نجد ان هذا النوع يحتوي على غرفة جنائزية ذات جدران وليس حفرة جنائزية محفورة تحت مسطح البناء، كما يلاحظ ان مواد بنائها محلية ومستخرجة من المحيط الذي بنيت فيه (سلاحجة، 2020، صفحة

360)، وتصنف هذه المعالم ضمن مجموعة المعالم ذات الغرفة الجنائزية (Selahdja., 2023, p. 982)

2.1الجثى:

تعتبر الجثى النوع الثاني الأكثر انتشارا في منطقة جبال الزاب، أي الجزء الشمالي للمنطقة المدروسة، وهي بأنواع مختلفة وأحجام متباينة، حيث يخضع هذا التنوع بشكل كبير الى طبيعة المادة الأولية التي بنيت بها بالإضافة إلى تمركزها داخل المقابر الجنائزية، أين تكون بشكل بيضاوي في المنحدرات وبشكل دائري على المسطحات المستوية (سلاحجة.، 2021، صفحة 44) (شكل 5، 3).

الجثى البسيطة وذات الصندوق هي من بين أهم الأنواع التي تنتشر في المنطقة، بالإضافة إلى الجثى ذات الفوهة والجثى المبلطة، كما توجد أنواع أخرى أقل انتشارا كالجثى ذات الشواهد، ويعتبر هذا النوع الأخير محل تساؤل نظرا لتدخل اليد البشرية الحالية في نصب الشواهد على الجثى وذلك لاعتقادات معينة أو بشكل عبثي خاصة من طرف الرعاة (سلاحجة، 2020، صفحة 357). يختلف تصنيفنا لهذه المعالم حسب طريقة تهيئة موضع الدفن، وهي تنتمي الى مجموعة المعالم ذات الحفرة الجنائزية أو ذات الصندوق الجنائزي(Selahdja., 2023, pp. 981-982)

3.1النشز:

يعتبر النشز النوع المسيطر في المناطق المنبسطة ويتميز بصلابة البنية الخارجية نظرا لصلابة مادة البناء المستعملة في تشييده والمتمثلة في التربة الجيرية التي تتصلب بعد اختلاطها المتواصل بالمياه بحيث يصبح المعلم الجنائزي مع مرور الوقت منيعا ضد العوامل الطبيعية كالأمطار والرياح ومحفوظ من مرور المياه والاوكسجين خاصة إلى داخل الغرف الجنائزية (سلاحجة.، 2021، صفحة 44)(شكل 5، 4)، ويساعد هذا

التصلب في الحفاظ على هيئة وشكل المعالم التي بنيت على شكل قبة بأحجام كبيرة يصل قطرها ما بين 18م و 20م، أما ارتفاعها فيفوق 2.5م وهذا في وضعها الحالي، كما تتوزع هذه المعالم غالبا على حدود الهضاب والمرتفعات المحيطة بالمجاري المائية وفروعها (سلاحجة، 2020، صفحة 364)، ولقد قمنا بتصنيفها ضمن مجموعة المعالم ذات الحفرة الجنائزية، نظرا لطريقة تهيئة موضع الدفن على شكل حفرة تحت مسطح بناء المعلم (Selahdja., 2023, p. 981)

شكل 5: صور لبعض أنواع المعالم الجنائزية المنتشرة بالمنطقة



ية القاعدة، 2- بازينة ذات درقة مصحوبة بتهييئات حجرية، 3- جثوة ذات فوهة، 4- نشز ذو قمة مبلطة.

2. البقايا الاثرية المكتشفة:

أسفرت الحفريات الأثرية للمعالم الجنائزية عن نتائج مهمة تخص طريقة عيش إنسان فجر التاريخ من عدة جوانب، وتنوعت اللقى الأثرية حسب تنوع أصناف المعالم المنقبة، حيث اكتشفت العديد من البقايا العظمية الإنسانية والحيوانية، بالإضافة إلى المرفقات الجنائزية مثل الفخار والمعادن وبقايا صناعات من مواد أولية عظوية نباتية وحيوانية، كصناعة الحوص وخرز العقود المصنوع بأجزاء قشور بيض النعام والصناعات العظمية.

1.2 البقايا العظمية الإنسانية:

تمثلت هذه البقايا في هياكل عظمية شبه مكتملة وبقايا عظمية متفرقة كالأسنان والفكوك وعظام الجمجمة (شكل 6)، وتعتبر معالم النشز بمختلف أنواعها من أكثر المعالم المنقبة التي أعطت لنا هياكل عظمية شبه كاملة، وذلك نظرا لبنيتها الخارجية العازلة وطريقة بنائها التي تتم بوضع طبقات متعددة من المواد الترابية والحجرية بشكل يمنع تسرب المياه والهواء إلى داخل المدفن.

تعتبر الدراسات الباليو-أنثروبولوجية للبقايا البشرية هامة جدا، وهي ترتكز على عدة مبادئ تعتمد بالدرجة الأولى على القياسات التي يمكن من خلالها تحديد مؤشرات ونقاط الاختلاف بين الأنواع البشرية، لذلك فإن دور هذه الدراسات خاصة فيما يتعلق بالبقايا البشرية لفترة فجر التاريخ هو محاولة استخلاص النوع الأنثروبولوجي لإنسان المنطقة المدروسة، بالإضافة إلى تقدير السن والجنس الخاص بكل فرد من أجل محاولة معرفة

التركيبة البشرية الاجتماعية وطريقة التعمير البشري. لقد تم الاعتماد في هذه الدراسة على عدة طرق ومنهجيات تختلف حسب اختلاف أجزاء الهياكل العظمية المكتشفة، وهي تعتمد أساسا على ملاحظة تطور الخصائص المورفولوجية للعظام ومقارنتها مع العينات المدروسة سابقا، والتي أجراها الباحثون في اختصاصات متعددة مثل علم الأنثروبولوجيا وعلم الآثار والطب الشرعي وغيرها، والذين يعتمدون على دراسة الاختلافات التي تطرأ على الهيكل العظمي وأجزاءه خلال مراحل النمو المختلفة.

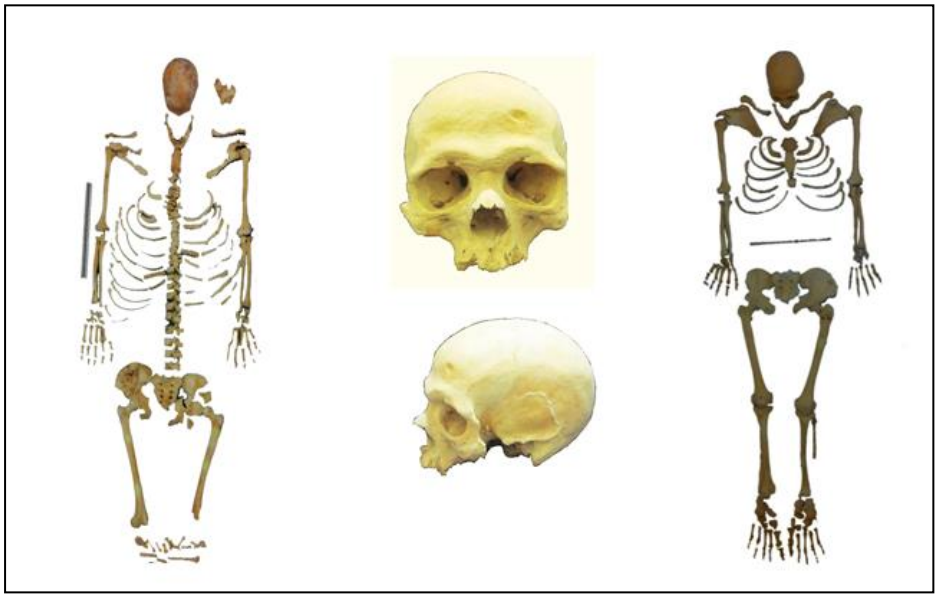
قمنا في هذا الصدد بالاستعانة بطرق كل من، Pennafort 1973 لقياس الفك السفلي في تحديد الجنس (Astier، 2013، صفحة 84)، Rissech لتحديد الجنس والعمر بقياس مؤشرات هيكل الحوض (Rissech, 2005)، Aitchison 1964 لدراسة مؤشرات الجمجمة لتحديد الجنس والفئة العمرية أيضا (Astier, 2013, p. 83)، أما بالنسبة للنوع الإنساني، فقد اعتمدنا على دراسات السابقة للهياكل المكتشفة في المعالم الجنائزية لفترة فجر التاريخ وخاصة الدراسة التي قام بها الباحثتان Chamla.M.C وFerenbach.D سنة 1988 اللذان درسا مجموعة كبيرة من الهياكل العظمية لاستخلاص النوع الأنثروبولوجي للأفراد التي عاشت في فترة فجر التاريخ (Chamla, 1988, pp. 713-775)، بحيث تم الاعتماد على قياس المؤشرات المتوفرة في الجماجم المستخرج إثر الحفريات الأثرية بالمنطقة المدروسة. جاءت نتائج البحث الأولي للبقايا العظمية كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول 2: جدول يوضح نتائج الدراسة الباليوانثروبولوجية لبعض اللقى العظمية الانسانية

الموقع	المعلم	نوع اللقى المدروسة	الطريقة المستعملة في الدراسة	تحديد الجنس	تحديد الفئة العمرية	النوع الانثروبولوجي

زبارة الرحيات	DZR 003	فك سفلي	Pennafort	أنثى	21-18 سنة	غير معرف
		جزء هيكل الحوض	Rissech			
شبكة الزميلة	CCZ 003	فك سفلي	PennafortLovejoy	ذكر	40-35 سنة	غير معرف
خافورة	DKH 002	هيكل عظمي CF1	Rissech Pennafort Lovejoy	ذكر	15-12 سنة	انسان مشتوي
		هيكل عظمي CF2	Rissech Pennafort Lovejoy	ذكر	19-15 سنة	انسان مشتوي

شكل 6: عينات من الهياكل العظمية الإنسانية المكتشفة في معالم النشاز بموقع خافورة.



2.2 البقايا العظمة الحيوانية:

تعتبر البقايا العظمية الحيوانية التي تكتشف داخل المعالم الجنائزية دلالات عن القرابين الحيوانية التي تقدم للميت، حيث تدفن معه

كمرفقات جنائزية تصاحبه في الحياة الثانية بعد الموت، وتتنوع هذه القرابين حسب تنوع المعتقدات، كما توفر لنا نظرة عن البيئة القديمة التي عاش فيها الانسان المشيد لهذه المعالم، من حيث المناخ والغطاء الحيواني والنباتي. تم اكتشاف القرابين الحيوانية في المعالم الجنائزية من نوع البازينات وهي في الغالب عبارة عن فكوك وأسنان متفرقة تدل على أغلب القرابين كانت عبارة عن جماجم لحيوانات بقارية صغيرة (أغنام) مثل الخروف والماعز(شكل 7).

شكل 7: صورة لبعض المكتشفات من القرابين الحيوانية (مستخرجة من معالم البازينة من موقع شبكة الزميلة).



3.2 المرفقات الجنائزية:

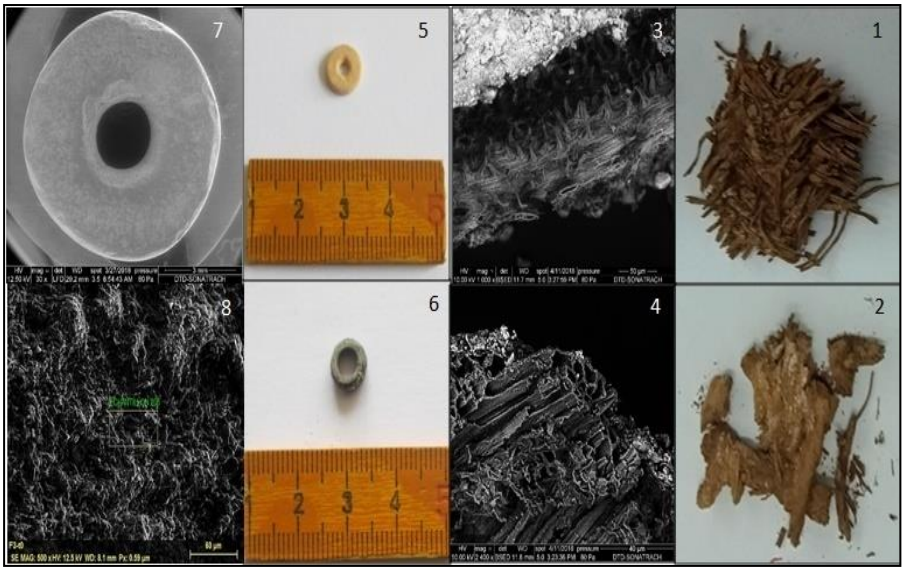
توفر معلومات مهمة حول المواد الأولية التي استعملت من طرف الانسان لصناعة الأدوات المستعملة في الحياة اليومية، مثل الفخار والمعادن وغيرها، وهي تعتبر من أهم الشواهد المادية الدالة عن عدة جوانب

من حياة الانسان الاقتصادية والاجتماعية والدينية، بالإضافة إلى ذلك، يستطيع الباحثون إذا ما توفرت لهم هذه المواد من إجراء تحاليل مخبرية متعددة تسمح بتحديد التواريخ المطلقة أو النسبية للعينات المكتشفة والكشف عن طرق التعامل معها في إطار سلسلتها الإنتاجية، كما أن المرفقات الجنائزية توفر معطيات يمكن مقارنتها مع المرفقات المدروسة سابقا وذلك بغرض حصرها في إطارها الكرونولوجي والحضاري.

تعتبر قلة المرفقات الجنائزية في مقابر فجر التاريخ بالجزائر خاصة، من الإشكاليات الرئيسية لفترة فجر التاريخ، فقلة البحث والمناخ الجاف الذي يميز المناطق التي تنتشر فيها المعالم الجنائزية بالإضافة إلى عمليات النهب والسرقة التي طالت هذه الأخيرة، تعتبر من الأسباب الرئيسية لهذا النقص، هذا أدى إلى ظهور إشكاليات بحث عديدة تتعلق بكرونولوجيا فترة فجر التاريخ، الذي لم نتمكن لحد الآن من تحديد بدايته ونهايته، بالإضافة إلى إشكالية وجود عصر المعادن وتحديد إطاره الزمني.

وفرت الحفريات الأثرية بالمنطقة المدروسة عدة أدلة عن استعمال المعادن، كالنحاس والحديد في صناعة الحلي، واستعمال الفخار في صناعة الأواني وأنواع أخرى من المواد الأولية لصناعة الحلي كقشور بيض النعام، بالإضافة إلى المواد العضوية من نبات الحلفاء والديس في صناعة الحوص التي استعملت لغرض الدفن، ولمعرفة طبيعة هذه المواد، قمنا بإجراء تحاليل معمقة بواسطة مجهر عالي الدقة يتمثل في مجهر المسح الالكتروني (MEB) الذي يعمل على تحليل التركيبة الفيزيائية للعينات المدروسة، سواء كانت معدنية أو نباتية أو فخارية، كما يعطي صور للعينات ذات دقة عالية ومكبرة مليون مرة (X1.000.000)، حيث يحولها إلى صور رقمية لتسهيل استعمالها (شكل 8).

شكل 8: عينات من البقايا الأثرية المستخرجة من المعالم الجنائزية وصور تحليلها بجهاز مجهر المسح الالكتروني (مستخرجة من معالم البازينة بموقع زبارة الرحيات).



1-2: عينات صناعة الحوص، 3: صورة مقربة لألياف النبتة المستعملة في صناعة الحوص، 4: صورة لحيز تحليل تركيبة النبتة، 5-6: صور عينات من صناعة حلقات العقود من قشور بيض النعام، 7: صورة مكبرة لحلقة من قشر بيض النعام توضح طريقة ثقبها في الوسط، 8: صورة للرقعة المحللة في قطعة الخرز.

خاتمة:

من المؤكد أن التعمير البشري بمنطقة الزاب يشغل حيزا كرونولوجيا كبيرا يمتد منذ عصور ما قبل التاريخ، وهذا ما أكده عدد من الباحثين أمثال H. Marchand ، والذي يؤكد حصوله على عدد من الأدوات الحجرية من طرف الطبيب الملازم J-C Sallé والتي تعود إلى الحضارة الأشولية، بينما

جمع هو مجموعات من الصناعات الحجرية التي تنتمي إلى الحضارات الأشولية والقفصية(Marchand, 1939, pp. 312-317) ، وهذا يشمل جميع مراحل ما قبل التاريخ، أي العصر الحجري القديم بتقسيماته، الأسفل، الأوسط والمتأخر، كما أبانت عمليات البحث والتحري الأثري التي قدناها في المنطقة عن الشواهد الأثرية للعصر الحجري الحديث والدلائل المادية لفترة فجر التاريخ.

إن هذا التدرج المرحلي لحضارات ما قبل التاريخ وفجر التاريخ بالمنطقة، خلف الكثير من البقايا الأثرية المتنوعة، وكانت النتائج الأولى للدراسات التي أقمناها على هذا الموروث الأثري تنصب في إطار إظهار الترابط بين المراحل المذكورة، بالإضافة الى الإجابة عن بعض الإشكاليات المطروحة في هذا المجال. لقد بينت الدراسات طريقة انتشار ومناطق توزع الصناعات الحجرية وانتماءها الحضاري، كما أن دراسة المعالم الجنائزية أوضحت التطور المعماري والتركيبة الهندسية لهذه المدافن، ووضحت دراسة المخلفات المستخرجة إثر الحفريات الأثرية، النوع الإنساني وأهم المواد الأولية التي استعملها في صناعاته، كالفخار والمعادن والمواد النباتية.

رغم النتائج السالفة الذكر، والتي تعد مهمة بالنسبة لدراسة التعمير البشري، إلا أن العديد من الإشكاليات تبقى مطروحة وتحتاج إلى أبحاث معمقة لتفسيرها، ويتعلق الأمر بوضع إطار كرونولوجي واضح للتعاقب الحضاري في فترة ما قبل التاريخ وفجر التاريخ، وإشكالية عدم اكتشاف مناطق الاستقرار (المسكن)، بالإضافة إلى تحديد وجود عصر المعادن. تبقى الأبحاث مستمرة في المنطقة إلى يومنا هذا، ونأمل أن نستطيع المساهمة في حل بعض الجوانب من الإشكاليات المطروحة من خلال ما توفره منطقة الزاب الغنية بالمخلفات الأثرية من دلائل حول التعمير البشري في فترة فجر التاريخ.

Bibliographie

Astier, C. (2013). Identification estimative en odontologie médico-légale.Contribution à l'intégration d'un nouveau type de donnée épidémiologiques. *Thèse Doctorat en chirurgie dontaire* , 83. Université de Toulouse 3-Paul Sabatier.

Athmani, A. (2018). Geochimie des meteaux traces dans les sediments du barrage de la fontane des gazelles, Algerie. *Courrier du savoir* (N° 26), 481-494.

Bougherara, A. e. (2009). Etude préliminaire des images LANDSAT et ALSAT pour le suivi des mutations agraire des Ziban (Extrême Nord-Est du Sahara algérien) de 1973 à 2007. *JAS09 de l'AUF* , 3-5.

Camps, G. (1961). *Aux origines de la Berbèrie. Monuments et rites funéraires protohistoriques.* Paris: Edit. A.M.G.

Chamla, M.-C. e.-8. (1988). Anthropologie (Partie I-II). *Anacutas – Anti-Atlas, Aix-en-Provence, Edisud« Volumes », no 5* , 1-8 et 713-775.

Gsell, S. (1911). *Atlas archéologique de l'Algérie.* Paris: Edit. A. Jourdan.

Guemaz, F. (2006). Thése de magister en toxicologie fondamontale et appliqué. *Analyse physicochimiques et bactériologiques des eaux usées des 3 sites de la ville de Biskra* . Annaba: Univ-Annaba.

Marchand, H. (1939). Stations préhistoriques nouvelles de la région des OuledDjellal : L'inter-atéro-capsien. *Bultin de la Société préhistorique française* , 312-317.

Rechachi Miled, Z. (2017). Impact de la qualité des eaux d'irrigation sur la salinisation des sols en régions arides et semi arides : cas de la région du ZIBAN. *thése Doctorat en sciences agronomique* , 11-12. Université Mohamed Kheider Biskra, Biskra.

Rethault, E. (1933). Les Djeddards du sud Constantinois. *B.S.G.A.A., t. XXXVIII*, 55-62.

Rissech, C. M. (2005). Ilium growth study: applicability in sex and age diagnosis. *Forensic Science International 147*, 165-174.

Roffo, P. (1938). Etude sur trois nécropoles d'Algérie centrale. *Rev. Afric. t. LXXXII*, 197-242.

Selahdja., b. (2023). Contribution à la classification des monuments funéraires protohistoriques de l'Algérie. *revue des sciences humaines et sociales* , 969-985.

سلاحجة ,ب ,2020) .ديسمبر .(التعمير البشري لفترة فجر التاريخ بمنطقة بسكرة 'الزاب .'*رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في تخصص ما قبل التاريخ* . معهد الآثارالجزائر.

سلاحجة ,.ب .(2021) .المعالم الجنائزية لفترة فجر التاريخ بمنطقة بسكرة، النتائج الأولية للحفريات الأثرية بمقبرة زبارة الرحيات .*مجلة آفاق علمية* , 36-52.